مجلة الآداب
المجلد: 19، العـــدد: 01 ، ديسمبر2019
الصفحات: 98 - 118

عناصر التراث الثقافي اللامادي الجزائري ومنهجية صونه

Elements of the Algerian intangible cultural heritage and its conservation methodology

د. سعاد حميدة

جامعة عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة– الجزائر hamidasouad@yahoo.fr

ملخص:

تحظى الجزائر بتراث ثقافي مادي ولا مادي مهم، هذا التراث في شقيه يعتبر من الأشياء الواجب الحفاظ عليها وإيصالها سالمة للأجيال، وهذه الأشياء قد تكون من الأنواع التي يمكن حملها أو مواقع صالحة للاستكشاف، أو هي تعابير قولية تردد وتحفظ وتروى، ومهما كان نوعها فلابد أنها تراث يستحق الحفظ والصون. ولأن منظمة اليونسكو هي الهيئة الوحيدة المخول لها تسجيل التراث الثقافي وحمايته فقد سعت الجزائر لتسجيل تراثها المادي في أشكال مختلفة له، فما هو التراث المادي ؟وما هي عناصره والمنهجية الواجب وضعها لحمايته وصونه؟

كلمات مفتاحية: التراث الثقافي – اللامادي – المادي

Abstract:

Algeria has an important material and material cultural heritage, this heritage in its two parts is considered one of the things that must be preserved and delivered safe for generations, and these things may be of the types that can be carried or sites suitable for exploration, or they are anecdotal expressions that are preserved and watered, and whatever their type must be A heritage worth preserving and preserving.

Because UNESCO is the only body empowered to record and protect cultural heritage, Algeria has endeavored to record its tangible heritage in various forms, so what is tangible heritage? What are its elements and methodology to be developed for its protection and preservation?

Keywords: cultural heritage - intangible - tangible

المؤلف المراسل: د. حميدة سعاد

مقدمة:

يمثل التراث الشعبي بمفاهيمه واصطلاحاته الكثيرة إحدى الرمزيات العلاماتية، والتي لها ارتباط بكل أوجه الثقافة وليس فقط ما هو منطوق أو ما هو في إطار اللغة، وبذلك تدخل تحت جناحيه كل الموروثات المادية مثل المواقع الأثرية وكذا الغير مادية التي تتجلى في كل ما هو غير ملموس لمختلف تشكلات وتنويعات التراث الإنساني.

والتراث الثقافي يعتبر السجل الذي تصب فيه الأمم إبداعاتها، والذاكرة التي تحفظ قيمها وأحد مقومات حضارتها وخصوصيتها التي تميزها عن باقي الأمم، لذا تحرص الدول متسابقة في الحفاظ على موروثاتها الثقافية محاولة ابتكار الوسائل والسياسات لصيانة تراثها وحفظه.

وفي خضم ما يعيشه هذا التراث الثقافي من حالات ثبات أو تغير، في ظل ما تغدق عليه بيئته وأفرادها الذين ينتجونه ويثرونه بأفكارهم وثقافاتهم وأحاسيسهم، ومن ثمة فهو يشكل أحد عناصر هويتها وإبداعاتها بتعاقب العصور.

وإن كان التراث الثقافي المادي شاهدا حيا على روعة الفن الذي ابتدعه الإنسان، وكذا شاهدا على عطاءاته عبر التاريخ، حيث استحوذ لزمن طويل على اهتمامات الدارسين وشكّل أحد رهانات تحقيق الجذب السياحي، وهو السبب المباشر لاهتمام الدول به، فإن الاهتمامات غير مقتصرة اليوم عليه، فهي تتجه نحو محاولة الحفاظ على التراث الثقافي الغير مادي، فأهميته لا تقل درجة عن سابقه في التعبير عن هوية الأمم وإبداعاتها، فماذا يعني التراث الثقافي الغير مادي؟ وما عناصره؟ وما منهجية صونه في الجزائر؟

أولا_ مفهوم التراث لغة:

في لسان العرب يقول ابن منظور «توارثناه: ورثه بعضنا عن بعض قدما، ويقال: ورّثت فلانا من فلان: أي جعلت ميراثه له، وأورث الميت وارثه ماله: أي تركه له»[1]، وفي القاموس المحيط نجد «وِرثا ووِراثة وإرثا ورِثة بكسر الكل، وأرثه أبوه وورّثه: جعله من ورثته، والوارث: الباقي بعد فناء الخلق... وبنو الوِرثة -بالكسر- بطن نسبوا إلى أمهم»[2]، وفي دعاء زكريا عليه السلام يقول تعالى «يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا»[3]، فالتنقيب عن هذا المصطلح في المعاجم العربية، نجد المصطلح يتعلق بالإرث والميراث، وتحوي الكلمة معنى يتعلق بالنقل والانتقال من الماضي إلى المستقبل، إنه مفهوم متنوع الدلالات، فهو يشمل الميراث المادي والمعنوي على السواء، فتارة يعني المال وتارة يعني النبوة حسب ما ورد في آيات القرآن الكريم، وقد يرث الإنسان الأخلاق والأدب، كما يدخل فيه الحسب والنسب.

ثانيا_ المفهوم الاصطلاحي للتراث الثقافي:

التراث عموما يعني كل ما هو قديم، يخلفه الأجداد لمن يأتي بعدهم من الأجيال، إنه مجموع التركات التي خلفها التاريخ فوثقت معالم الحياة والنهضة الفكرية للأمم، وبشكل أوضح هو يعني «شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص المتميزة عميقة الجذور، ويتناقل من جيل إلى آخر، ويصمد عبر فترة زمنية متفاوتة نوعيا ومتميزة بيئيا، تظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية والعادية، ولكنه يحتفظ دائما بوحدة أساسية مستمرة»[4]، فالتراث هو من يربط الماضي بالحاضر.

والتراث الثقافي بوجه خاص هو «التعبير الخلاق والمبدع الناتج عن وجود وحياة شعب في الماضي والماضي القريب والحاضر»[5]، ولم يبق هذا المفهوم ثابتا فقد تطور بتطور الزمن، فبعدما كان المصطلح في العقود الماضية متعلقا فقط «بالأعمال الهامة التي تحوي قيما فنية تاريخية، فهو اليوم يستعمل على نطاق أوسع ويغطي أي شيء يحتوي على أهمية وقيمة عند الناس، ويشمل التراث حاليا الناحيتين الثقافية والطبيعية»[6] ولقد كان لمنظمة اليونسكو دور كبير في توسيع مفهوم التراث الثقافي، فلم يعد مقتصرا على المعالم التاريخية ومجموعات القطع الفنية والأثرية، وإنما شمل التقاليد وأشكال التعبير الحية الموروثة من أسلافنا والتي تداولتها الأجيال، ومنه نتج نوعان من التراث الثقافي هما:

أ_ التراث الثقافي المادي:

يعتبر التراث الثقافي اللامادي موردا فريدا من نوعه وغير قابل للتجديد، وذا قيمة ثقافية أو علمية أو روحية أو دينية، وهذا النوع التراثي «يشمل أنواع منقولة أو ثابتة، أو مواقع أو مجموعات هياكل، أو سمات وخصائص طبيعية، أو مناظر طبيعية ذات قيمة أثرية أو حفرية أو تاريخية أو معمارية أو دينية، أو جمالية أو غيرها من القيم الثقافية»[7]، حيث التراث غير المادي المنقول هو ما يمكنه نقله كالقطع الأثرية، وغير المنقول مثل المباني والمدن الأثرية ولقد عرف الباحث "**ريتشارد دورسون**" الثقافة المادية بقوله «نولي اهتمامنا في هذا الميدان لجوانب السلوك الشعبي المنظورة وليس المسموعة»[8]، ورغم أن الفهم المعاصر لدراسة الأشياء المادية قد تغير، إلا أن وصف التراث المادي بالملموس والمرئي يبقى شيئا مهما.

ب_ التراث غير المادي:

يعرف التراث الغير مادي بأنه التراث الثقافي الذي يتجلى «في كافة المظاهر الغير مادية وغير الملموسة لمختلف تشكلات وتنويعات التراث الإنساني، باعتباره الثقافي الممارس الحي والمنتقل عبر الأجيال من خلال حاملي وممارسي عناصره الأساسية»[9]، ولأن مصطلح التراث الثقافي على مستوى المضمون قد عرف تغيرات في العقود الأخيرة وراجع ذلك لمساعي منظمة اليونسكو حيث وضعت صكوكا في ذلك، وقد جعلت التراث الغير مادي يشمل «التقاليد أو أشكال التعبير الحية الموروثة من أسلافنا والتي تداولتها الأجيال الواحد تلو الآخر وصولا إلينا مثل التقاليد الشفهية والفنون الاستعراضية، والممارسات الاجتماعية والطقوس، والمناسبات الاحتفالية والمعارف، والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، والمعارف والمهارات في إنتاج الصناعات الحرفية التقليدية»[10].

ونورد هذا الجدول لتوضيح عناصر التراث ككل:

التراث الثقافي			التراث الطبيعي
التراث المادي		التراث الغير مادي	مادي وغير منقول
غير المنقول	المنقول		
-الأعمال المعمارية - المعالم -المواقع الأثرية - المراكز التاريخية -مجموعات المباني التراثية -المشاهد الثقافية -المحميات والحدائق التاريخية -الآثار الصناعي	- مقتنيات المتاحف - المكتبات -الأرشفة (السجلات)	- الموسيقى -الرقص والفولكلور - الأدب - المسرح - التقاليد المحلية - المهارات الحرفية - الشعائر الدينية	-المحميات الطبيعية والمائية ذات الأهمية الأيكولوجية. -التكوينات الجيولوجية والطبيعية. - مواقع الطبيعة الخلابة.

ثالثا_ أهمية التراث:

نتساءل لماذا يجب على الشعوب أن تعطي أهمية لتراثها ككل وتسعي لحمايته وصونه؟ والجواب أن العناية به تكون للأسباب الآتية:

* التراث لدى الأمم ينقل مختلف الرسائل والقيم سواء التاريخية أو الفنية أو الاجتماعية أو الدينية أو السياسية أو العلمية...الخ، حيث تنبئنا الآثار التاريخية عن طريقة عيش الشعوب في الماضي

والمساجد تنبئنا عن اللمسات المعمارية والفنية للسابقين، وكذا محتوى الأشكال التعبيرية لطالما نقل لنا أنماط التفكير والعيش للأجيال السابقة.

* التراث هو تعبير عن هويات المجتمعات، وبه تحافظ على هوياتها ، وعديد الأماكن عرفت وميزت بمعالمها التراثية.

* التراث وسيلة معبرة عن تنوع الشعوب وتطورها عن طريق التبادلات الثقافية، حيث يكشف التراث عن مدى التنوعات الثقافية لأمة ما من جانب، ومن جانب آخر عن مدى التبادلات بين الشعوب، فتطورها عبر التاريخ مرهون بتلك العطاءات والتبادلات فيما بينها.

* التراث وسيلة تطويرية للاقتصاد، فهو وسيلة جذب سياحية ناجحة، والعديد من الدول التي نجحت السياحة فيها أحسنت توظيف التراث والحفاظ عليه واستغلاله في جذب سياح العالم فأصبح التراث حينها مصدرا اقتصاديا هاما في خلق فرص العمل إدخال العملات الصعبة وتطوير البنيات التحتية بشكل عام.

*التراث هو طاقة غير متجددة، لذا من الواجب المحافظة على هذه الكنوز والتي إذا أتلفت لن تتجدد ولن تعود.

رابعا_ خصائص التراث الثقافي غير المادي[11]:

***ازدواجية التقليدية والمعاصرة**: حيث التراث الثقافي اللامادي «لا يقتصر فقط على التقاليد الموروثة من الماضي، وإنما يشمل أيضا ممارسات ريفية وحضرية معاصرة تشارك فيها جماعات ثقافية متنوعة» *.

***تراث جامع**: حيث أشكال التعبير الغير مادي «تعطينا إحساسا بالهوية والاستمرارية، وتشكل حلقة وصل بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، والتراث الغير مادي لا يثير أسئلة عما إذا كانت بعض الممارسات خاصة بثقافة ما أم لا، فهو يسهم في التماسك الاجتماعي ويحفز الشعور بالانتماء والمسؤولية، الأمر الذي يقوي عند الأفراد الشعور بالانتماء إلى مجتمع محلي، أو مجتمعات محلية مختلفة، وأنهم جزء من المجتمع ككل» *.

* ***التمثيلية***: حيث أن التراث اللامادي «لا يقيّم باعتباره مجرد سلعة ثقافية، أو لطابعه المتميز أو الاستثنائي وفق سلم المقارنات، فهو يستمد قوته من جذوره في المجتمعات المحلية ويعتمد على هؤلاء الذين تنتقل معارفهم في مجال التقاليد والعادات والمهارات عبر الأجيال إلى بقية أفراد المجتمع، أو إلى مجتمعات أخرى» *.

* ***قيامه على المجتمعات المحلية:*** المجتمعات المحلية هي التي تنتجه وتحافظ عليه «فبدون اعتراف هؤلاء بتراثهم لا يمكن لأحد غيرهم أن يقرر بدلا عنهم، إن كان هذا الأمر أو ذاك يشكل جزءا من تراثهم» *.

خامسا_ أشكال التراث الغير مادي:

لقد حاولت اتفاقية صون التراث غير المادي 2003 ، التأكيد على أن الثقافة والتراث الثقافي لا يمكن فقط حصرهما فيما هو مادي وملموس فقد شمل «الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات_ وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، والتي تعدها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد جزءا لا يتجزأ من تراثهم الثقافي»[12]، وقد لخصته اليونسكو فيما يلي:

أ- التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي.

ب- فنون وتقاليد أداء العروض.

ج - الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.

د - المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.

هـ - المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

سادسا_ القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي الجزائري عبر منظمة اليونسكو:

والجزائر في هذا المجال تمتلك تراثا غير مادي، يدخل في مجال التراث الثقافي الشعبي الغني، والذي يتمثل في إرث من العادات والتقاليد المحلية والأشكال التعبيرية والمهارات وسنركز على ما سجلته منظمة اليونسكو وأصبح محسوبا على الجزائر، حيث تمثل فيما يلي[13]:

1_ أهليل قورارة التقليدي:وهو ذلك التراث الشعري الغنائي من منطقة قورارة الواحة الجزائرية التي تبعد عن العاصمة باتجاه الجنوب الغربي بحوالي ألف كلم، وهو نوع من الغناء ينتشر في منطقة تيميمون ولاية أدرار وما جاورها منذ القديم، وقبل الإسلام كان يحمل اسم **أزنون**، ليحمل بعد ذلك اسم أهليل، التي أرجعها البعض إلى عبارة أهل الليل لأن هذا الغناء يغنى ليلا، ومنهم من نسبه للهلال، ورأي آخر يعيده للتهليل بمعنى لا إله إلا الله.

هذا التراث من الموروث الغنائي الصحراوي الذي يتناول سير الصحابة والصالحين، ما دفع الدارسين ليعتبروه من الغناء الصوفي المستلهم من الطرق الصوفية المعروفة في الجزائر التيجانية والقادرية، وقد نال حظة من التسجيل في قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي سنة 2008.

أ_ طريقة أداء هذا التراث[14]:

يشترك في أداء الأهليل النساء والرجال، وهم واقفون يرددون نفس الكلمات مع مرافقتها بالتصفيق الذي يتلاءم مع الألحان التي تدعم بحركات أجسادهم، ويؤدى من قبل فرق تتألف غالبا من سبعة منشدين يكونون في أماكن عامة أثناء الليل في المناسبات الدينية والأفراح أو عند زيارة مقامات الأولياء الصالحين، وهناك نوعين من هذا الفن: يطلق على الأول اسم **تقرابت**، ويُؤدى جلوسا بآلات موسيقية خاصة في المناسبات الدينية، والثاني هو "أهليل" ويؤدى وقوفا باستعمال آلتي الناي والطبل.

ب_ الآلات والكلمات:

هناك عدة آلات يقع توظيفها في الأهليل هي: زمزاد، الطبلة وتمجا. ما الأشعار المغناة فإن كانت يطغى عليها القصائد الصوفية والدينية، فإنها تتناول أيضا موضوعات دنيوية مثل الحب والحرب والشهرة والكرامة والعطف، ومن أشهر أغانيه "النبي الأعظم":

صلى الله على صاحب المقام الرفيع
والسلام على الطاهر الحبيب الشفيع

قدر الداعي والمدعي ومن هو سميع

قدر الشاري في السوق ومن جاء يبيع

قدر الطايع للحق رآه في أمره سميع

قدر ما قبضت اليد الكافلة بالجميع

قدر الحلفة والدوم والزرع والربيع

والواضح أن هذه الأغنية تتغنى بالصلاة على سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، ويبدوا الأداء في الصور كالآتي

أهليل قورارة

رقصة أهليل

_ موسيقى أمزاد الطوارق[15]:

فقد تم إدراج أمزاد وما يتعلق بها من مهارات ضمن لائحة التراث الثقافي اللامادي للإنسانية سنة 2013 من قبل اليونسكو، وتحولت آلة الأمزاد إلى رمز موسيقي خاص بالطوارق بواسطة هذه

الآلة حيث تعزف نساء قبائل الطوارق على آلة أحادية الوتر هي الأمزاد، وهي «آلة وترية أشبه بالربابة أو الكمان، يتم صنعها على شكل قدح بواسطة الخشب، يتم ربط رأسه بقطعة من جلد الشاة، ويتم وصل الحدين الفاصلين بوتر مصنوع من شعر ذيل الحصان، ليتم ضبطه بعناية فائقة، يمكن العزف عليها بعد ذلك»[16]، يصدر عنها بعد ذلك أصوات تطرب لها الروح، وتحضر الأسطورة التي تبرر احتكار المرأة الأمزاد، فقربه منها يولد الخراب ويأتي به، ومنه أصبح محرما عليه الاقتراب منها والعزف عليها، والطوارق يعتبرون هذه الآلة جزءا لا يتجزأ من ثقافتهم وحضارتهم لذا لا يمكن التخلي عنها تحت أي ظرف من الظروف.

_ طريقة العزف على آلة الأمزاد[17]:

تجلس العازفة واضعة الآلة على ركبتيها، وتعزف بواسطة قوس فيحدث أنغاما، وتصحبها أشعار أو أغان يرددها الرجال غالبا في المناسبات الاحتفالية في مخيمات الطوارق، ووفقا للمعتقدات السائدة فإن هذه الموسيقى تعزف لإبعاد الأرواح الشريرة ومداواة المرضى النفسانيين، وخبرات صناعة الإمزاد وطرق العزف والإنشاد والمعرفة الموسيقية تنقل من جيل إلى جيل شفهيا ليومنا هذا، وهذا التراث الثقافي اللامادي تراث مشترك مع شمالي النيجر ومالي.

والتارقي في تمنراست أحب الموسيقى كأي بشر ووجد فيها ضالته، فهي بالنسبة إليه «تحمل ثقلا دلاليا وحضاريا في ثقافة هذا المجتمع الذي يستوطن الصحراء، أين تعلم من صمتها وامتدادها الكثير من الآليات التي تساعده على البقاء والحب»[18].

العزف على آلة الإمزاد

ج_ طقوس ومراسم السِّبَيْبَة[19]:

السبيبة عبارة على احتفال سنوي تقليدي، يقام بواحات مدينة جانت جنوب الجزائر بولاية إيليزي، وهي من التقاليد التراثية المتوارثة التي عرف بها طوارق الصحراء الجزائرية، وهو الاحتفال الذي يصادف الاحتفال به كل سنة اليوم العاشر من محرم في التقويم الهجري، وترمز هذه الاحتفالية إلى السلم المدني والسلام والالتحام الجماعي، تعود هذه المناسبة إلى قرون عند تعاقد قبائل الطوارق على الصلح والسلام بين سكان القصرين العتيقين **أزلواز** و**الميهان**، كما تسوق آراء الدارسين أن رمزية السلام ليست وحدها المعبرة عن هذه الاحتفالية، فالرقصات فيها تعبير عن سعادة قبيلة الطوارق **آجر** بانتصارها على تهديدات فرعون مصر في معركة حاسمة.

والباحثة الجزائرية "**مريم بوزيد**" من الدارسين الذين خصصوا أبحاثهم للتعمق في هذا التراث الصحراوي، وهي تعرف السِّبَيْبَة بأنها «لون غنائي يتصدر الألوان الموسيقية لسكان الواحة المستقرين مقابل البدو وسكان الصحراء من طوارق منطقة تاسيلي... ويؤدى هذا اللون أثناء طقوس الزواج

وبعض المناسبات الأخرى»[20]، والواضح أنها أغان تؤدى في احتفالات الزواج كما تؤدى في احتفالات أخرى لأنها تراث خاص بهم.

_ طقوس الأداء والاحتفال بمناسبة عيد السِّبَيْبَة ورمزيتها[21]:

لا زال هذا الحدث التاريخي راسخا في العادات المحلية ويعبر عنه اليوم بطريقة احتفالية ضمن طقوس شعبية تحمل الكثير من الرمزية، هذا النصر الأسطوري الذي لا زال يرمز إلى صلابة المجتمع التارقي تعكسه مشاهد تلك الرقصات الجماعية التي يؤديها الراقصون أو «المحاربون» في احتفالات عيد «السبيبة» على وقع دقات الطبول، وهي تعبر عن جانب من العواطف المشحونة التي تختزل جانبا من الصراع الذي كان سائدا في عهود غابرة بين القبائل، وترمز أيضا إلى وحدة هذه القبائل أثناء مواجهتها للأعداء.

ومثلما تقتضيه العادات المتوارثة في أوساط «توارق» منطقة «الهقار» بتمنراست التي يلتف فيها السكان حول أمين العقال الذي يعتبر رمزا روحيا لزيارة مقام «مولاي عبد الرحمان»، فإن عيد «السبيبة» لدى «طوارق جانت» تعبر أيضا عن ذلك التلاحم الاجتماعي بين القبائل المحلية من أجل الاحتفال سويا بعقد الصلح الذي أبرم ذات يوم بين قبيلتي «أورارم» و«تارأورفيت»، والذي يجسد نهاية لمسار حروب طاحنة امتدت وقائعها لتاريخ طويل بين قبائل منطقة الطاسيلي، وما يرمز إليه هذا الحدث أيضا إلى تكريس قيم السلم والتصالح، ومن بين الصور التي ترويها الرقصات الجماعية التي يحمل فيها الراقصون أسلحة ويرتدون زيا حربيا، تلك الحركات المتناسقة التي تتناغم مع أصوات «البندير»، وهي تعبر عن حركة المقاتل أثناء الحرب، وتروي الكثير من أسرار المقاتل الحربي في عهود قديمة وتقنيات الدفاع التي كانت معروفة آنذاك، ولكن يعاد تصويرها اليوم في عيد «السبيبة» بلمسة فولكلورية ممزوجة بالإيحائية وعفوية الرجل التارقي، ويشارك الجميع في الاحتفال بنهاية النزاع بين القبيلتين وينعمون في أجواء مليئة بمشاعر التسامح والصلح وذلك ما تعكسه تلك المشاهد التراثية المعبرة لعيد «السبيبة» التي تهتزّ على وقائعه مدينة «جانت» الهادئة لساعات طويلة، وقد حظي بالتسجيل في قائمة التراث الإنساني من قبل منظمة اليونسكو ويتجلى الاحتفال بها عبر الصور التالية:

احتفالات عيد السبيبة

د_ ركب سيدي الشيخ:

الركب هو الموكب الجنائزي، وهذا الاحتفال المعروف ينسب إلى الولي الصالح سيدي الشيخ مؤسس الطريقة الشيخية بمنطقة الأبيض بولاية البيض، وهو الذي عرف بجهاده ضد الاحتلال الإسباني في شواطئ وهران، وعند موته نقل إلى بلدية الأبيض في موكب جنائزي يسمى الركب ومنذ وقت طويل حرص أهل المنطقة على إحياء ذكراه باحتفالية يأتيها الناس من كل صوب وحدب.

تنتمي إلى العادات الصوفية المتعلقة بالزاوية الشيخية، وقد حضت بالتسجيل ضمن التراث الشفهي الغير مادي للإنسانية من طرف لجنة منظمة اليونسكو بتاريخ 2013، والزاوية الشيخية كانت لزمن طويل مقصدا لطلاب الروحانيات والتربية الذوقية، ومسعاها كان الحفاظ على القيم المجتمعية كحسن الضيافة وكذا الممارسات الجماعية كالتسابيح، وتلاوة القرآن، بالإضافة إلى الرقصات والأغاني التقليدية والفولكلورية والمبارزات ضمن مسابقات الفروسية[22].

كما تعرف هذه المنطقة «بسهراتها على الشعر الملحون والمأثور، وقصائد دينية مثل الياقوتة والخمرة والخضرة والبردة، ولا تخلو وليمة ولا لقاءات ودية من قراءة الياقوتة، وبعض الأشعار المأثورة كقصيدة الشيخ المهناني في رثاء الشيخ بوعمامة»[23]، وألعاب الفروسية فيها لا تضاهيها أي منطقة أخرى لتميزها، والاحتفال يظهر في الصور الآتية:

الاحتفال بركب سيدي الشيخ

والصور تعكس الاحتفال المقام قرب الضريح، حيث ألعاب الفروسية والرقصات والأغاني بالإضافة إلى المأدبة التي تقام كوعدة لسيدي الشيخ، وهو ما يدخل في التراث اللامادي الواجب المحافظة عليه لأنه تراث حضاري معبر عن هوية الأمة.

هـ_ العادات والمهارات الحرفية المرتبطة بزي الزفاف التلمساني:

تلمسان مثلها مثل أي منطقة عبر تراب الجزائر معروفة بتراث خاص بها، فهي في احتفالات الزواج لها خصوصية تميزها وذلك يتمثل في زي العروس حين تزف، وفي التقاليد والعادات والمهارات الحرفية المرتبطة بهذا الزي، وقد حظي هذا التراث اللامادي بالتقييد ضمن لائحة اليونسكو سنة 2012، فمن عادات العرس التلمساني «أن ترتدي العروس بحضور أهلها وصديقاتها فستانا تقليديا من الحرير الذهبي اللون، وتزين يداها بأنواع مختلفة من نقوش الحناء، ثم تأتي امرأة كبيرة في السن فتساعدها على ارتداء قفطان مخملي مطرز بشكل فني وجمالي، وعلة وضع الحلي وتاج مخروطي»[24]،

وهذه المهارات الحرفية في صناعة الزي التلمساني المخصص للعروس وما يصاحبه من عادات وتقاليد لازلت العائلات التلمسانية تتوارثه.

والمهتمون بالألبسة التراثية العالمية قد أجمعوا على أن الزي التلمساني تلتقي في ثناياه عدة حضارات إنسانية «فالبلوزة أصلها من الحضارة العربية، والفوطة من الحضارة الأمازيغية، والقفطان من الحضارة العثمانية، بينما الشاشية مستمدة من الحضارة الأندلسية»[25]، وهذا الزي يتوضح في الصورة التالية:

زي الزفاف التلمساني

و_ منهجية صون التراث اللامادي الجزائري:

تبقى جل الإجراءات والخطوات التي شهدتها الأقطار العربية محتشمة خاصة أنها غير منفتحة على بعضها البعض في شأن صون وحفظ التراث الثقافي غير المادي والاستثمار فيه، لأن الاهتمام به كفيل بإعادة العديد من العناصر التراثية إلى الخارطة الاقتصادية ومساهمتها في تحسين الدخل الوطني من جهة والمحافظة على الهوية الجماعية الجزائرية من جهة أخرى، وربما الفضل الأول في

تعريف العالم ببعض عناصر التراث الثقافي الجزائري يعود لمنظمة اليونسكو في اختبار روائع التراث الثقافي غير المادي للبشرية، حيث أن «اعتماد فضل القيمة هذا كدليل على جذورها التاريخية، وعمق تأصلها في التقاليد الثقافية للمجتمعات المعنية، وإبراز دورها كوسيلة لتأكيد الهوية، ويشير هذا المنظور لفضل القيمة إلى عبقرية الشعوب في ابتكار أدوات التعبير عن ذاتها والتركيز على شخصيتها»[26]، والجزائر في كل أقطارها غنية بتراث غير مادي مزال لم يسجل، ومن هنا فمن الواجب صون هذا التراث والسعي لتعريف العالم به واستثماره في الجانب السياحي، وهذا الصون يتطلب تخطيطا ورعاية إن لم يتوفرا تعرض للضياع ورمي في سلة النسيان، ومن ثمة حرمان الأجيال من معرفة ماضيها وربطه بحاضرهم.

ومن أجل هذا الصون لابد من النقاط الآتية:

1- إرساء ووضع آليات للتحسيس والتوعية بقيمة هذا الموروث الثقافي اللامادي، حيث لابد أن يعتبر هذا التراث جزءا لا يتجزأ من الثقافة، وأن يمارس ويعلّم للأجيال بانتظام في المجتمعات المحلية ويجب أن تقام حملات دعائية لتوعية الرأي العام بالتراث الثقافي اللامادي، بالإضافة إلى حملات الترويج.

2- صون التراث الثقافي غير المادي يعني توثيقه: فالصون بمعنى السهر على بقاء هذا التراث مستمرا والاستمرارية تكون بتكثيف البحوث حوله، والمحافظة عليه والترويج له ونقله عن طريق تعليم إما نظامي أو غير نظامي وإحياء جوانبه المختلفة.

3- اعتماد سياسة عامة تستهدف إبراز الدور الذي يؤديه التراث الثقافي غير المادي في المجتمع وإدماج صونه في البرامج التخطيطية.

4- إرساء قواعد قانونية ترعى وتحمي هذا التراث.

وفي الأخير يمكن القول أن الجزائر تمتلك تراثا تعتز به، لأنه ضارب في أعماق تاريخها الماضي ومعبر عن هويتها الجماعية ومميز لها عن بقية الأمم، إلا أن العناية به مازالت تسير بخطى بطيئة ومتراخية، لذا تبقى الآمال متعلقة بجهود حقيقية نحو حماية هذا التراث الثقافي وصونه ضمن نهضة

ثقافية شاملة، إضافة إلى ضرورة بث الوعي الحقيقي بقيمة هذا الموروث ووجوب ترسيخه في ذاكرة الأجيال وكل ذلك مربوط بخطة حقيقية ومدروسة.

الهوامش والإحالات:

[1] ابن منظور أبو جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ج2، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص 201.

[2] الفيروز بادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقوسي، د ط، مؤسسة الرسالة، د ت، ص 177.

[3] سورة مريم : الآية 6.

[4] يوسف محمد عبد الله: الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته، نحو مستقبل واعد للسياحة في اليمن، ص 2.

[5] منظمة الايكروم: تعريف الشباب بحماية وإدارة مواقع التراث والمدن التاريخية، دليل عملي لمعلمي المدارس في المنطقة العربية، تر: إبراهيم عبد الرزاق، ط1، منظمة الايكروم واليونسكو، روما 2003، ص 7.

[6] المرجع نفسه، ص 7_8.

[7] المذكرة التوجيهية الثامنة، التراث الثقافي، مؤسسة التمويل الدولية مجموعة البنك الدولي،1 يناير/كانون الثاني2012، ص2.

[8] الجوهري محمد: علم الفولكلور، الأسس النظرية والمنهجية، ج1، ط1، دار المعارف، القاهرة1981، ص120.

[9] علا طلال: التراث الثقافي غير المادي، تراث الشعوب الحي، سلسلة أوراق دمشق، ع4، ص 2.

[10] منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: التراث الثقافي غير المادي، ص 3.

[11] المرجع نفسه، ص 4_5.

* المرجع نفسه، ص4-5.

[12] معلا طلال، التراث الثقافي غير المادي، ص 7.

[13] قائمة التراث الثقافي اللامادي في الجزائر: https://ar.wikipedia.org

[14] أهل قورارة : https://ar.wikipedia.org

[15] قائمة التراث الثقافي اللامادي في الجزائر: https://ar.wikipedia.org

[16] عبد الكريم قادري: موسيقى الإمزاد شمس الطوارق التي لا تغيب: http://www.aranthropos.com

[17] قائمة التراث الثقافي اللامادي في الجزائر: https://ar.wikipedia.org

[18] عبد الكريم قادري: موسيقى الإمزاد شمس الطوارق التي لا تغرب: http://www.aranthropos.com

[19] قائمة التراث الثقافي اللامادي في الجزائر: https://ar.wikipedia.org

[20] مريم بوزيد: موسيقى الطوارق، أغاني النساء، رقص الرجال والعلاج بالموسيقى. https://raseef22.com/blog

[21] سكان مدينة «جانت» يحتفلون بعيد السبيبة https://www.algeria.com/blog/sbiba-in-algeria

[22] قائمة التراث الثقافي اللامادي في الجزائر https://ar.wikipedia.org

[23] ركب سيدي الشيخ https://www.vitaminedz.com

[24] قائمة التراث الثقافي اللامادي في الجزائر https://ar.wikipedia.org

[25] قائمة التراث الثقافي اللامادي في الجزائر https://ar.wikipedia.org

[26] معلا طلال: التراث الثقافي غير المادي، تراث الشعوب الحي، ص 6.

قائمة المصادر المراجع:

_ القرآن الكريم برواية ورش

1- أبو جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ج2، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقوسي، د ط، مؤسسة الرسالة، د ت.

3- محمد الجوهري: علم الفولكلور، الأسس النظرية والمنهجية، ج1، ط1، دار المعارف، القاهرة1981.

4- محمد عبد الله يوسف: الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته، نحو مستقبل واعد للسياحة في اليمن.

5- المذكرة التوجيهية الثامنة، التراث الثقافي، مؤسسة التمويل الدولية مجموعة البنك الدولي،1 يناير/كانون الثاني2012.

6- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: التراث الثقافي غير المادي.

7- منظمة الايكروم: تعريف الشباب بحماية وإدارة مواقع التراث والمدن التاريخية، دليل عملي لمعلمي المدارس في المنطقة العربية، تر: إبراهيم عبد الرزاق، ط1، منظمة الايكروم واليونسكو، روما 2003.